«امبراطورة» دار الصياد

إلهام فريحة:

عروقي مشدودة نحو القارىء لأنني ابنة المهنة وابنة المعلم

إلهام فريحة

ابنة المعلم الكبير سعيد فريحة.. وثالثة الأخوين عصام وبسام.. والمشرفة الفعلية على امبراطورية صحفية هي الأولى والأقدم في عالم الصحافة العربية.

إلهام فريحة الليدي الجميلة.. وابنة البيت الذي كانت أبوابه مشرعة ولا تزال لكل طالبي المحبة وواهبي الوفاء..

سيدة العطاءات التي لا تحد.. وحاملة الأوسمة.. والصلبة القوية.. كما اللينة العابقة بالعطر.. أحد عشر عاماً تحت قصف القنابل، وظلت صامدة تدير دار الصياد بكل منشوراتها.. الإدارية الحكيمة.. والكاتبة الأكثر حكمة وخبرة في تدوين الحياة والفرح والأمل لمستقبل لبنان.

صديقة الكبار.. ومعلمة الجميع أن الإدارة تقوم على الثقة والعطاء الذي بلا حدود في المشاعر والنبض والاحترام المتبادل.

ورثت عن الراحل الكبير سعيد فريحة خفة ظله و طيبته وإبداعه وحكمته في إدارة العمل الصحفي.. ورافقت شقيقيها عصام وبسام في مشوار البناء.. لأن تركة الوالد كانت كبيرة وثقيلة.. وهي مع أخويها أكملوا الرسالة ووصلوا بها إلى بر الأمان.

صديقتي.. يوم انضممت إلى عائلة دار الصياد.. أصبحت الابنة الرابعة وشقيقتها الروحية.. ولا تزال لغاية اليوم، لا يفصل بيني وبينها ستار.

تركت لها أن تفتح باب القلب وشرفة الذكريات:

■ أي إرث ترك لك المعلم الكبير سعيد فريحة: سمعة الأديب وقلمه، أم شغف الصحفي وألمه؟

– يستحيل فصل الواحد عن الآخر، كلاهما ينبثقان من محبة للكلمة والتزام الموقف والجرأة في التعبير، وأضيف إلى ذلك أنني ورثت عن سعيد فريحة حسه الإنساني الجم، هذه العوامل كانت مندمجة متكاملة فيه، كان سعيد فريحه إنسانياً إلى أبعد الحدود وإحساسه العاطفي تجاه أفراد أسرة الدار يكاد يتخطى كل الحدود، قال في إحدى المناسبات: أتمنى أن تظل الحياة جميلة من حولي وأن يطغى جمالها على كل الأزمات ومعالم البشاعة، ومن أجل هذا لم يتوان عن مقاسمة محرر محتاج ما في جيبه من مال، كان بيتنا في الطابق الأعلى للدار، وكان مفتاح البيت موجوداً دائماً على الباب، وكان تلامذة الوالد «رحمه الله»، يصعدون في أي وقت أرادوا إلى البيت فيدخلون وكأنهم من أفراد الأسرة ويشاركون الغداء أو العشاء.. وكان قد اعتاد دوماً على النزول إلى قاعات التحرير بالروب ويجلس مع المحررين ويتبادل وإياهم الأفكار حول الأحداث وطرق التغطية ويعطيهم التوجيهات، وقد تعلمت أن بيت سعيد فريحة هو أبداً مفتوح للجميع كما تعلمت أن أشارك في مائدتي أفراد الأسرة كتقليد أحافظ عليه وكإطار لمناقشات ومداولات بعيداً عن الكلفة والتحفظ.

■ أي ذكريات لا تغيب عن الطفلة التي كنتها وعاشت في بيت فريحة. وتابعت من خلال والدها أن العالم كله يختصر في ورق ومحبرة وصحيفة تتحدى الزمن؟

– ذكرياتي كثيرة أكثر من أن تحصى، فشخصية سعيد فريحة أخاذة وغنية، أذكر، وكنت لا أزال دون الخامسة من العمر، أنه في إحدى المرات، وعلى أثر مقال انتقادي كتبه سعيد فريحة، بحق شقيق الرئيس بشارة الخوري، الذي كان يلقب بالسلطان سليم، أن العدد صودر ولوحق والدي وصدر الحكم بسجنه، وقد رأى الرئيس بشارة الخوري، مسايرة لشقيقه، أن يتم توقيف والدي في السجن ويقضي مدة العقوبة إلى أن تهدأ الخواطر على أن يخرج يومياً من السجن لزيارتنا في المنزل ثم يعود إلى السجن ليمضي ليلته. وحدث أن صديق سعيد فريحة، الصحفي والوزير آنذاك، نجيب الريس، قدم من دمشق للاطمئنان علينا، ولم يكن بالطبع عالماً بالترتيب، فسألني إذا كنت مشتاقة إلى رؤية والدي، الذي كان في غرفة أخرى في البيت، وقد خشيت أمي أن أكشف، وأنا الطفلة الصغيرة السن الأمر، ولكني فاجأت الجميع حينما كتمت الأمر واجبته أنني في غاية الشوق إليه.

وككثير من الفتيات في مثل هذه السن و«الشقاوة» كنت أرفض تناول الطعام مفضلة اللعب، فكان يقول لأمي دعيها تنزل معي إلى المطبعة وأنا سأطلب من معلم المطبعة «الياس مهنا أطال الله في عمره» أن يخبرها قصة ويجعلها تتناول طعامها، وكان المعلم الياس يحكي لي حكاية ويتناول هو الطعام.

11 عاما تحت القصف ولم تتوقف عن العطاء..

الأساتذة عصام وبسام والهام وسعيد عصام فريحة

عند تركيب آلة الطباعة بحضور السيدة حسيبة والمغفور له إميل البستاني

وحينما كنت في حوالي الحادية عشرة كان السائق يأتي لأخذي من المدرسة يومياً عندما كان دوام المدرسة ينتهي في الرابعة بعد الظهر، وكان يقلني إلى والدي حيث يكون جالساً آنذاك في مقهى الإيدن روك إلى جانب عدد من رجال السياسة والحكم أذكر منهم الرئيس صائب سلام والحاج حسين العويني وأميل البستاني وحبيب أبو شهلا وعبدالله اليافي وأديب الفرزلي، فأركض إليه وأجلس في حضنه فيدلعني واستمتع بأحاديث السياسة.

■ الحرب اللبنانية جعلت الناس يشكلون حالة هروب كبيرة من البلد، أنت في عز الحرب كنت صامدة، جعلت «الصياد» متراسك الخاص، متراس الحرية الباقي وقاومت مع زملاء لك قرروا الصمود، لو نتحدث عن تلك التجربة، عن جوائز لك وأوسمة؟

– دامت الحرب ستة عشر عاماً، طويلة كدهر لا نهاية له، وكانت تلك الفترة بداية انخراطي في العمل، ولكني كنت، في الوقت نفسه، في مرحلة طلاق زوجي وعندي ابنة وحيدة لا أقايض بها الدنيا كلها، اندلعت الحرب وكان شقيقاي في الخارج منهمكين في أشغالهما عصام في أوروبا وبسام في الخليج، والمسؤوليات كثيرة والظروف صعبة وفكرة الطلاق غير مستحبة عندي بصفتي ابنة سعيد فريحة، وسط هذا الجو كان علي أن أثبت نفسي وأخوض امتحان الحياة بشعور من المسؤولية وقرار لا رجعة عنه بالنجاح، وبسبب صدمتي على صعيد الزواج أردت أن أثبت نفسي في موقع آخر، بدأ الأمر حينما كنت بدأت أتلقى تعليمات من بسام كي أنقلها إلى المسؤولين والإداريين، ولكن شيئاً فشيئاً أخذ الجهاز الإداري يتضاءل بسبب الهجرة وأعباء الحرب وكانت المواصلات خطرة وأحياناً غير متوافرة، فبدأت أتولى أنا نفسي تنفيذ التعليمات إلى أن آلت الإدارة بكاملها إليّ.. لقد استغرق الأمر طويلاً، ستة عشر عاماً من العمل الدؤوب، ولكن التجربة أعطت ثمارها، والحمد لله أن الحرب لم تمتد أكثر من ذلك وإلا لكنت لا أزال في ميدان الاختبار. وقد ساعد كوني ورثت عن أبي روح الأسرة والمحبة وامتلاكي لمعنى الصمود عبر التعاون، كان حولي ستة وخمسين شخصاً – نعم ستة وخمسون ولا أقول حوالي ستين تأكيداً على أهمية كل فرد منهم – منهم من كان أكبر سناً مني ومنهم الأعمق معرفة والأكثر خبرة، تعاونوا معي جميعهم لإنجاح التجربة. وللتاريخ أقول إنه لولا ثقة شقيقيّ، عصام وبسام، لما استطعت حمل المسؤولية مع فريق العمل الذي التف حولي، ومن ملك العزيمة والمثابرة والقدرة على تحدي الصعاب ملك أيضاً قوة النجاح لذا تحملت مسؤوليات الإدارة والتحرير والإعلانات والأهم المال. والحقيقة أنه إذا لم يكن المرء يتمتع بالقدرة على أن يجمع حوله النخبة كل في اختصاصه لما استطاع تحقيق شيء.

ورثت عن أبي حسه الإنساني الجم والتزامه وجرأته في التعبير

الهام مع الوالد

هذا نهجي في صمودي، أنا مؤمنة بفريق العمل. وكوني امرأة كنت للمحيطين بي ومعظمهم رجال، الابنة والأخت والأم أحياناً، ميزة المرأة هي في كونها تتمتع بإحساس مرهف والرجل، أياً كان جبروته، ينساب أمام اللطف واللياقة والذوق وهذا ما فعلت.

أما بالنسبة إلى الجوائز فقد نلت الأوسمة التالية: وسام اللجنة الوطنية ليوم الطفل عام 1987 بصفتي «من رموز المحبة والعطاء».

وسام الاستحقاق الوطني من أعلى درجات الشرف

كان بيتنا مفتوحا للجميع.. يدخله تلامذة الوالد في كل الأوقات

الرقصة الأخيرة مع الوالد

في عرس عصام سعيد فريحة

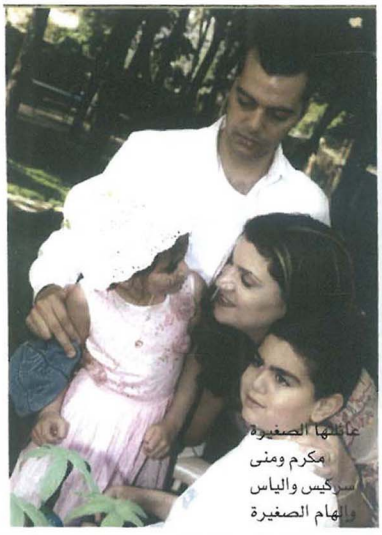
عائلتها الصغيرة مكرم ومنى أسركيس والياس وألهام الصغيرة

الهام وأناقة لاتحد

تتوسط شقيقيها عصام وبسام

الهام بين الوالد والوالدة

أهم وسام أحمله إنني أعبر عن رأيي في مجلة الصياد

قلده لي رئيس الجمهورية اللبنانية عام 1988 .

«شهادة تقدير» وزير الزراعة اللبنانية عام 1998 لما بذلته في سبيل تعزيز القطاع الزراعي.

جائزة الصحافة عام 1992 من قبل «جمعية مصطفى وعلي أمين» لصمودي أحد عشر عاماً في إدارة الدار، والقنابل تسقط فوق رأسي كما جاء في قرار التكريم، ولكن أهم وسام أحمله هو كوني أعبر عن رأيي بقلمي في مجلة «الصياد» التي أسسها سعيد فريحة مع استقلال لبنان وحملت مشعل الوحدة الوطنية والأخوة اللبنانية العربية وقامت ولا تزال على الرأي الحر والمستقل.

■ **بعضهم يعتبر دار الصياد امبراطورية صحفية، أنت باختصار كيف تقيمين التجربة التي أسسها الوالد ثم تابعتها من بعده أنت وشقيقاك معاً؟**

– إنها بالفعل امبراطورية. وببركة الله ورضى الوالدين وإيمان كل أسرة الدار بالعمل الجدي الحر وإرث سعيد فريحة ورسالته ستظل امبراطورية بمختلف إصداراتها، للامبراطورية أسس: أولها الحفاظ على روح المؤسسة، ثانيها التجدد الدائم، ثالثها المنافسة بصفتها الهاجس الأساسي خصوصاً على صعيد العالم العربي بالنسبة لنا، رابعها استحالة العودة إلى الوراء، فالنجاح صعب والحفاظ عليه أصعب.

وخلال ممارستي للمسؤولية طوال 30 عاماً لم تتوقف إصداراتنا، ولم تنقطع أي من مطبوعاتنا عن الصدور، بل أضيفت مجلات متخصصة جديدة ولا يزال العطاء مستمراً وكان آخر الإصدارات منذ أشهر معدودة ظهور «سحر» آخر العنقود بحلتها الجديدة، والحق يقال إن الصحافة في لبنان، من الوجهة الاقتصادية، في وضع لا تحسد عليه، أيام الحرب لم تبلغ الضغوطات مبلغ ما بلغته هذه الضغوطات زمن السلم، في الحرب كانت الضغوطات أمنية أما الموارد المالية فكانت متيسرة، في زمن السلم خرجنا من الملاجئ إلى النور ولكن إلى حرب من نوع آخر، الحرب المعيشية، خرج لبنان من الحرب بملياري دولار من الديون فأصبح الدين اليوم في عهد السلم يربو على 45 ملياراً.

■ **حالياً تشغلين أكثر من منصب في الدار، فهل تستهويك الإدارة أكثر أم التحرير؟**

مع صديقتها منى الهراوي ووالدتها حسيبة

العناق بين الأب وابنته ليلة زفافها

الابتسامة لاتفارق وجهها وتفاؤل دائم بالمستقبل

– لا فرق بين عيني اليمنى وعيني اليسرى، كلتاهما أساسيتان وضروريتان، الله عز وجل منحني القدرة على حمل الأمانتين. يقول شقيقي بسام الرائد في مجال الإعلام إنني امبراطورة إدارية وهذه كلمة كبيرة، والسبب على ما أعتقد كوني أملك حساً صحيحاً أي BON SENSE والذي يتيح، للمرء، شعوراً فطرياً بتحديد تلقائي منطقي لمعالجة الأمور ويوفر الجواب الناجع والمناسب لكل مشكلة، أما التحرير فهو في دمي، عروقي مشدودة نحو القارئ فأنا ابنة المهنة و«ابنة المعلم» والقارئ هو نعمتي، أما هاجسي فهو كيفية الوصول إلى قلبه، إنه تاريخنا ومستقبلنا، عندما أنظر إلى موضوع معيشة المواطن وأرى أمامي ثراء المطبوعة وأرى الأرقام أشعر بأن الدنيا بألف خير والحمد لله، العمل في الصحافة عمل يومي لا يقف ولا يتأثر بأية عوامل نفسية يعيشها المرء أحياناً، لا علاقة لها بالمعاناة الشخصية.

■ كيف تجدين الحضور الإعلامي لدوريات الدار: السياسية والفنية والاجتماعية من خلال هذا الكم الكبير من المجلات والدوريات العربية التي تزداد يوماً بعد يوم؟

– أشعر دائماً أننا في موقع تقصير، كل مطبوعة من مطبوعاتنا هي ابنتي الوحيدة. إن عملت في «الأنوار» فإني أشعر بالتقصير تجاه «الصياد» وإن عملت في «الصياد» فأشعر أنني مقصرة تجاه «فيروز»، ومع ذلك أقول إن ما فعلته لغاية الآن ربما أكثر من قدرتي.. وعلى الجيل الثالث من الأسرة أن يعي مسؤولياته خصوصاً وأن الأيام الآن أسهل بكثير مما كانت عليه حينما بدأت أنا العمل، أملي كبير في أبنائنا. أبناء الأخوة الثلاثة.

■ ما الذي يميز رؤيتكم وأين تكمن الخصوصية والتميز عن الآخرين؟

– احترم رؤية الآخرين بمقدار ما أحترم رؤيتي. رؤيتي ترتكز على التقدم التكنولوجي ووضع الشخص المناسب في المكان المناسب. ورغم أنه لكل منهجيته وأسلوبه فالقصد جعلهم يتكاملون كي تعطي التجربة ثمارها في نهاية المطاف. وبين صحافة الرسالة وصحافة الموهبة، يجب التوفيق بين صحافة الثورة المعلوماتية لردم الفجوات بين الاثنتين.

■ كانت تربط المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.. والمعلم سعيد فريحة علاقة متينة، إلى أي مدى ترتبط الدار وأنت وإخوتك بالتجربة الإماراتية السباقة في البناء والنهوض، وهل يمكن لإعلامي أن يصادق مسؤولاً وتكون العلاقة دائمة.

– أذكر زيارة المغفور له الشيخ زايد إلى دار الصياد عام 1969 وصورته في تلك المناسبة محفوظة في متحف الدار وفي بيوت أفراد الأسرة، وقد انتقلت الصداقة الحميمة التي قامت بين بسام والشيخ زايد «رحمه الله» إلى صداقة متينة بين بسام وأبناء الشيخ زايد رحمه الله، الذين يرون في بسام أخاً وصديقاً وفياً مخلصاً، كما تربطني علاقة وثيقة، أساسها المحبة والوفاء بالشيخة فاطمة بنت مبارك حرم المغفور له الشيخ زايد وشريكة حياته وكفاحه، ولا يمكنني إلا أن أقوم بزيارتها مرتين على الأقل في العام. فهي قدوة في العمل النسائي حققت دعماً غير مسبوق للمرأة الإماراتية، من هنا كان لمواقفها وقراراتها بصفتها رائدة الحركة النسائية أن شكلت كياناً نسائياً عربياً لمواجهة متطلبات الأسرة والمرأة العربية، هذا الكيان بذاته انعكس على حاضر الإمارات ومستقبلها. وأنني أرى فيها شخصية صلبة كبيرة استطاعت أن تجمع أولادها على روح الأخوة والعمل.

■ على الصعيد الشخصي هل أثرت وظيفتك الإعلامية على حياتك الشخصية؟

– طبعاً لا يمكنني أن أعمل وأنجح وأستوعب كل هذه الإصدارات القديمة والجديدة وأنا متنقلة بين غداء وعشاء، لذلك فقد احتجبت كلياً طوال 25 عاماً أي خلال الحرب وبعدها عن أي اجتماعيات واختصرت دائرتي بين مركز عملي أي الدار ومنزلي كما اقتصرت اجتماعياتي على أسرة ابنتي وزوجها وولديهما حفيديّ الياس وعمره ثماني سنوات والهام وعمرها 5 سنوات اللذين أجد متعة في مداعبتهما وأسرة أولاد شقيقيّ إضافة إلى الاحترام الذي يحطيني به فريق عملي.

■ أين دور الصداقة في حياتك الشخصية والمهنية؟

– الصداقة أهم ميزة عند الإنسان يمكن للحب أن يزول ويمكن للزواج أن ينتهي إنما الصداقة الحقيقية الصادقة الوثيقة تدوم إلى الأبد، ويلفت نظري أن أهم المفكرين كتبوا طويلاً ومولياً في معنى الصداقة أكثر بكثير مما كتب كبار العشاق عن الحب، عندي صداقات كبيرة أخص منها بالذكر: سمو الشيخة فاطمة بنت مبارك حرم المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.

منى الهراوي قرينة الرئيس السابق الياس الهراوي وهي صديقة العمر.

شقيقاي عصام وحكمته، وبسام وحيويته، وهما صديقان كبيران لي.

ابنتي وهي صديقتي الغالية الوفية العاقلة قدر ما هي ابنتي.

أصدقاء عديدون من أسرة الدار.

وكيف أنساك يا مريم وكنت في سن المراهقة الجميلة يوم بدأت العمل مع الراحل علي أمين في ملحق «الأنوار» وكيف لي أن أنسى أن ابنتك الثالثة تحمل اسمي تيمناً؟

■ أي مصير ترينه للبنان وهل ثمة أمل بمستقبل للبنان وابنائه في الغد؟

– مستقبل الازدهار والسلام ونهاية الأزمات وتنامي الإعلام أكثر فأكثر، تراودني هذه الأحلام ولا تغيب عن بالي. صحيح أنني أقضم جرعات اليأس أحياناً، لكن تفاؤلي يطرد بسرعة هذه الأفكار فأصبح أحلم بجيل جديد من اللبنانيين يشق مزيداً من النجاحات لوطنهم العزيز لبنان في جميع المجالات.

.. مريم

بـــــوح..

حبيبي إلى من أشكي إلى دفتري أو إلى نفسي.. كم كنت غارقاً في بحرك وأغار عليك من نفسي وأحبك عدد ما قطرت عيني من البكاء، وبحجم الآلام والهموم التي في داخلي كم كنت أتمنى أن أعيش بقربك، وكم كنت أتمنى أن أسعدك ولكن هذا هو القدر اليوم يبعدني عنك..ولكني لن ألوم القدر ولن ألوم نفسي بل سوف ألومك انت، ولا ألومك على فراقي بل ألومك على تعذيبك، وعلى ما أشربتني من آلام وأحزان ويالالأسف الشديد بعدما كنت اعتبرك كل حياتي وأهم وأغلى شيء في هذه الدنيا الفانيه وهو الشيءالوحيد والهدف الوحيد الذي كنت اعيش من أجله... واليوم ها أنا أعيش بلا أهداف وبلا طموح وبلا مستقبل لأن مصيري ومستقبلي كان بيدك.. انت المداوي لجروحي وانت البلسم لنوحي.

سوف ألملم ذكراك واحاول أن أنساك وإن لم استطع حبيبي فلا تتركني لأني سوف أعود إليك.. ولا أبالي ان كان الثمن دمعي او دمي و لكن اريدك دوماً بجانبي ولن انسى ابداً كلمة كنت ترددها لي دوماً وهي كلمة «لن اتخلى عنك» وها أنت اليوم تتخلى عني.. لماذا حبيبي هل من سبب؟ دوماً اسأل نفسي ولكن لا ألقى الجواب.. وأني بفارغ الصبر اتمنى اليوم الذي سوف يجمعنا يا حبيبي وفي الختام يا حبيبي.... أود أن اقول كلمة وأنا أعنيها وهي كلمة... أُحبك للأبد.

الثريا...

ضـــاع الأمل

ضـاع الأمـل والحب ضـاعت تـلايـاه
يـا نـعلبـو حظي مع البيض مشقـاه
مـع واحـد صـدقت مجمـل حـكـايـاه
وأعـطيت لـه قـلبـي ومـا كـان يـبغـاه
لمح لـنـا بـالحب وأحـنـا هـويـنـاه
وأثري غبي طاوعت هرجه وممشاه
كـنت أحسـبـه صـادق وقـلـبـي تمنـاه
وكنت أحسبه يحفظ لقوله ويمناه
واثره يـريـد الـتسـلـيـه لا عـدمـنـاه
ومـثـلـه كـثير عـنـدنـا مـا هـويـنـاه
رجـع يـقـل مـثـلك عـيـالـه تحراه
وقـلـبـي لـغيرك ملك عـجـزان لـقـواه
مـا يـدري اني خـال الـرأس وابـغـاه
ولا أريد من ذا الناس غيره ولا سواه
بـعـد المسـافـه أفـقـدتـنـي مـزايـاه
معـرف عنـه الا الـبعض من سوايـاه
اللـي عـمل فيـه طرف من سجـايـاه
أقـول حـكـيـي واعـرف أنـه تـعـداه
كـنت أحسـبـه عـزٍ لشـاكـي ومشـكـاه
وفي خـلال أسـبـوع بـانت خـفـايـاه
والـلـه قـلـبـي بـه ولا يمكـن أنسـاه
ومـن حـبـهـم يـكـفـي بـقـيـة بـقـايـاه
والـلـه مـا أسـبـه ووالـلـه مـا أجـفـاه
ولا أريـد مـنـه يـعـود ولا ابـا أتـرجـاه
الجرح تـعـبـنـي وهـو يـعـرف أدواه
وبصبر عـلى ضـيـمـي وأنـا بـا أتحداه
اللـي يـقـول الـصـدق يـلـقـى مـعـانـاه
واللـي يـقـول الـكـذب كـلا تـلـقـاه
وآخـر كـلامـي كـيـف نـعـرف نـوايـاه
واقـول لـه قـلـبـي يـعـزه ويـهـواه
أودعت بـه ربـي يصـونـه ويـرعـاه
قـلـبـي مـعـه نـصـفـاً ونـصـف دفـنـاه

الساري - الرياض